شواهد المفارقة اللغوية في الأدب العربي الحديث

ودعنا نتناول بعض نماذج من المفارقة في شعرنا العربي :

يقول الشاعر محمد مهدي الجواهري في قصيدة "تنويمة الجياع" :

نامي جياع الشعب نامي حرستك آلهة الطعام
نامي فإن لم تشبعي من يقظة فمن المنام
نامي على زبد الوعود يزين معسول الكلام
نامي تزرك عرائس الأحلام في جنح الظلام
و ترى زرائبك الفساح مبلطات بالرخام

نامي فقد أضفى "العراء" عليك أثواب الغرام
نامي فقد أنهى "مجيع الشعب" ايام الصيام
نامي فقد غنى "إله الحرب" ألحان السلام
نامي و سيري في منامك ما استطعت إلى الأمام
نامي على تلك العظات الغر من ذاك الإمام
يوصيك ألا تطعمي من مال ربك في خطام
يوصيك أن تدعي المباهج واللذائذ للئام
وتعوضي عن كل ذلك بالسجود وبالقيام
نامي فنومك خير ما حمل المؤرخ من وسام
نامي فإن صلاح أمر فاسد في أن تنامي
والعروة الوثقى! إذا استيقظت تؤذن بانفصام
نامي وإلا فالصفوف تؤول منك إلى انقسام

نـــامي تريحـــي الحـــاكمين مـــن اشـــتباك والتحـــام
نـــامي فجـــدران الســـجون تعـــج بـــالموت الـــزؤام
نامي على جور كما حمـــل الرضـــيع علـــى الفطـــام
تـــامي إليـــك تحيتـــي وعليـــك نائمـــة ســـلامي
نامي جياع الشـــعب نـــامي حرســـتك إلهـــة الطعـــام

يعتمد الشاعر هنا في إبراز فكرته على المفارقة وما تحمل من دلالات .

وتبرز حدة المفارقة التي يصهر بها الشاعر هموم الإنسان وحريته في إناء الوجود الإنساني.فنرى مفارقته الشعرية بادية في هذه السخرية النابعة من أمره جياع الشعب بالنوم والراحة إن هي لم تشبع وأن تخلد إلى النوم والراحة على الوعود الكاذبة البراقة الممزوجة بمعسول الكلام ، والتي لاتسمن جوع ولا تغني من خوف ، ، وأن هذا النوم سبيلها إلى القضاء على الفساد ، وطريقها الأوحد إلى تحقيق الغايات ، وإدراك ما تريد من طموحات ، وهذا مفارق للواقع مخالف له .

هي سخرية حادة لادعة تحمل المفارقة في أجلى معانيها ، فظاهر السياق هنا يخالف باطنه ، ما يقوله الشاعر ويصرح به شيء ، وما يبطن وما يريد شيء آخر . وحسبك من شاعر يتمنى الحرية والخلاص لشعبه .

فقد آثر الشاعر أن يصوغ مطالبته في قالب ساخر يعتمد على المتناقضات ويخير قومه بين خيارين . بين النوم واليقظة ، بين الموافقة والرفض ، بين التحرر والخنوع ، تاركا له اختيار ما يحقق له بغيته .

وتلك دلالات واسعة المدى أفسحها أسلوب المفارقة وجلاها للناظرين .

وفي نوع آخر من المفارقة اللغوية يطلق عليه (مفارقة الموقف) .

يقول الشاعر : أحمد مطر :

في قصيدة (يحيا العدل) :

- حبسوه .
- قبل أن يتهموه .
- عذبوه .
- قبل أن يستجوبوه .
- أطفأوا سيجارة في مقلتيه .
- عرضوا بعض التصاوير عليه .
- قل : لمن هذي الوجوه ؟
- قال : لا أبصر .
- قصوا شفتيه .
- طلبوا منه اعترافا .
- حول من قد جندوه .
- لم يقل شيئا .
- ولما عجزوا أن ينطقوه .
- شنقوه .

****

- بعد شهر براوه .
- أدركوا أن الفتى .
- ليس هو المطلوب أصلا .
- بل أخوه .

obeikandi.com

- ومضوا نحو الأخ الثاني .
- ولكن .. وجدوه .
- ميتا من شدة الحزن .
- فلم يعتقلوه .

في هذا النوع من المفارقة يبدو لنا غرابة الموقف من الضحية ومن الجاني فالضحية لا تعرف سبب القبض عليها ، ومع ذلك لقي من التعذيب ما لقي فضُرب وسُملت عيناه بعد وضع السيجارة فيها . ورغم ذلك طُلب منه الإخبار عن من في الصورة ، فلم يستطع لأنه لا يبصر ، عندئذ وسموه بالإنكار ثم شنقوه . وتزداد المفارقة حين يكتشف الجناة أن الذي شُنق ليس هو المقصود ، بل أخوه ، فهرولوا مسرعين للقبض عليه ، غير أنهم عادوا خائبين ، لأن الأخ كان قد مات غما وحزنا لفقد أخيه .

أرأيت كيف تفعل المفارقة فعلها ؟ إنها تبرز مدى التباين بين الموقفين : موقف الضحية وجهلها بجنايتها ، وما اتهمت به ، وموقف الجناة وما أمعنوا فيه من التعذيب بغير جريرة ، ثم جهلهم بمن يريدون القبض عليه ، ومن خلال هذا كله آلة التعذيب لا تتوقف : تعذب وتسمل وتشنق ، ولا يدري الجناة أنهم بفعلتهم هذه يتسببون في قتل أناس غما وحزنا على ذويهم .

ومن خلال هذا التعارض في الموقفين : موقف الجاني وموقف الضحية تبرز دلالة المفارقة وتحقق هدفها غرضها المنشود في تجلية فكر الشاعر ومقصوده من إبراز الصراع الإنساني وما ينتاب النفس البشرية من توحش واعتداء يؤدي

بها إلى ارتكاب جريمة القتل و سنكيل بالآخرين. وكذلك ما يصيب النفس البشرية من قهر وما يقع عليها من اعتداء وجور.

ويقول صفي الدين الحلي في قصيدة (قالت) :

قالت : كحلت الجفون بالوسـن ... قلت : ارتقابا لطيفك الحسـن

قالـت : تسـليت عـن فرقتنـا ... فقلت : عن مسـكني وعـن سـكني

قالت : تشـاغلت عـن محبتنـا ... قلـت: بفـرط البكـاء والحـزن

قالت : تناسيت، قلت : عـافيتي ... قالت: تناءيت قلـت: عـن وطنـي

قالت : تخليت، قلت:عن جلـدي ... قالت : تغيرت قلـت : فـي بـدني

قالت : تخصصت دون صـحبتنا ... فقلت : بالغـبن في والغـبن

قالت : أذعت أسراري فقلت لها: ... صير سـري هـواك كالعـلن

قالت : سررت الأعداء قلت لها: ... ذلك شـيء لـو شـئت لـم يكـن

قالت : فماذا تروم ؟ قلت لهـا: ... سـاعة وصـل بالوصـل تسـعدني

قالت: فعين الرقيب تنظرنا قلت : ... فإني للعـين لـم أبـن

في هذا النص الحواري بين الشاعر ومحبوبته تبدو المفارقة في أدق صورها فهي تبين له أنه قد غفل وزار النوم عينه ، فيبين لها أنه نام انتظارا لرؤية طيفها الجميل في نومه ، وتبين له أنه وجد سلواه وابتعد عنها فيبين لها أنه ابتعد عن سكنه وأهله ، وتقول إنه انشغل عن محبتها فيبين لها أنه انشغل بالبكاء والحزن وهكذا في طول القصيدة وعرضها يبرز الشاعر المفارقة بين ما تقوله المحبوبة – وهو متوقع من وجهة نظرها – وبين ما يقوله المحب وهو غير متوقع ، ومن هنا تأتي المفارقة التي تبرز دلالتها من خلال الحوار في وضوح .

وفي نموذج آخر يقول نزار قباني :

أيظن

أيظـــن أنـــي لعبـــة فـــي يديـــه
أنـــا لا أفكـــر فـــي الرجـــوع إليـــه
اليـــوم عـــاد كـــأن شـــيئًا لـــم يكـــن
وبـــراءة الأطفـــال فـــي عينيـــه
ليقـــول لـــي إنـــي رفيقـــه دربـــه
وبـــأنني الحـــب الوحيـــد لديـــه
حمـــل الزهـــور إلـــي كيـــف أرده
وصـــبايا مرســـومٌ علـــى شـــفتيه
ما عدت أذكـــر والحرائـــق فـــي دمـــي
كيـــف التجـــأت إلـــي زنديـــه
خبـــأت رأســـي عنـــده وكـــأنني
طفـــل أعـــادوه إلـــى أبويـــه
حتـــى قســـاتيني التـــي أهملتهـــا
فَرِحـــت بـــه.. رقصـــت علـــى قدميـــه
ســـامحته وســـألت عـــن أخبـــاره
وبكيـــت ســـاعات علـــى كتفيـــه
وبـــدون أن أدري تركـــت لـــه يـــدي
لتنـــام كالعصـــفور بـــين يديـــه
ونســـيت حقـــدي كلـــه فـــي لحظـــة
مـــن قـــال إنـــي قـــد حقـــدت عليـــه

كـــم قلـــت إنـــي غيـــر عائـــدة لـــه

ورجعـــت مـــا أحلـــى الرجـــوع إليـــه

هنا نبدو المفارقة في الحوار الداخلي – في داخل المرأة – فهي تبدو في بداية القصيدة غاضبة مصممة على القطيعة مع من تحب ، وأنها لا تفكر حتى في مجرد العودة ، لا العودة نفسها ، ثم لما جاء محبوبها تبدل الحال عندما أخبرها أنه ما زال يحبها ، وابتهجت ، حتى ثيابها التي أهملتها فرحت به ورقصت على كتفيه وتناست كل غضبها وحقدها ، **حتى لنتساءل في دهشة** :

من قال إنها حقدت عليه ؟ وتفيق من هذا التساؤل – الذي يحدث المفارقة – لتعلن حبها الشديد **قائلة** : ما أحلى الرجوع إليه !

والمفارقة في هذا النموذج ملموسة تصور الصراع الإنساني داخل الأنثى وتصور العبارات والأساليب المفارقة في موقفها الرافض المصر على القطيعة والهجران قبل أن تلتقي بمن تحب ، وموقفها بعد أن التقيا وكيف تغير على النقيض ليصير حبا وتعلقا وهياما يجعله تبين أن أحلى شيء هو العودة والرجوع .

ويبقى بعد هذه النماذج التي عرضناها أن نبين القيمة الدلالية للمفارقة تكمن في ما تحدثه من دلالات ، وما تثيره من تفكير وإعمال ذهن للوصول إلى موضع المفارقة ومقصودها .

المصادر والمراجع

obeikandl.com

obeikandl.com

المصادر والمراجع

١- الأجناس الأدبية من منظور مختلف، خلدون الشمعة، المجلة العربية للثقافة العدد ٣٢ / ١٩٩٧ . ١٢٩، ١٣٥.

٢- العقد الفريد لابن عبد ربه ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ١٩٩٩.

٣- المفارقة القرآنية (دراسة في بنية الدلالة) ، د/ محمد العبد ، مكتبة الآداب ٢٠٠٦ .

٤- المفارقة اللغوية في معهود الخطاب العربي (دراسة في بنية الدلالة) ، د عاصم شحادة علي (بحث) .

٥- المفارقة، نبيلة ابراهيم ، مجلة فصول العددان ٣-٤ / ١٩٨٧ .

٦- المفارقة وصفاتها ، (موسوعة المصطلح النقدي، ١٣) دي سي ميويك، ترجمة د.عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ط٢، ١٩٨٧.

٧- النقد الأدبي ، دكتور محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، بيروت ،١٩٦٨

٨- نظرية البنائية في النقد الأدبي، دكتور صلاح فضل ، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط٣،١٩٨٥.

٩- نظرية التلقي، مقدمة نقدية، روبرت هولب، ترجمة د . عز الدين اسماعيل، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط ١ ، ١٩٩٤ .

١٠- جان بول سارتر : ما الأدب ؟ ، ترجمة دكتور محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٦ .

obeikandl.com

دواوين الشعر :

- المعلقات السبع للزوزني .
- نزار قباني الأعمال الكاملة .
- شرح ديوان المتنبي للبرقوقي.

معاجم :

- ✓ المعجم الوسيط .
- ✓ لسان العرب .

obeikandl.com